نظرة نفسية تشخيصية .. على ثورة يناير الشعبية

فى عالم الثورات كالثورة الفرنسية ،والثورة البلشفية بالاتحاد السوفيتى (سابقا) على المستوى العالمى,وثورة يوليو المصرية عام ١٩٥٢ على المستوى المحلى,تهدف الثورة إلى التغيير الجذرى للنظام السائد بهدف الإصلاحات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ليشعر المواطن بالاستقرار وتحسُّن الأحوال الإجتماعية فى المجتمع الثورى. وقد يكون هناك بعض المناوئين والمعارضين لقيام الثورة، وهم من نخبة المجتمع وذوى المناصب والمراكز الكبرى فتجرفهم الثورة وتقدمهم للمحاكمة والإعدام "بالمقصلة" .كما حدث إبّان قيام الثورة الفرنسية، أو القتل والإبادة لملايين البشر أثناء الثورة الروسية فى عهد "ستالين". وعادة لا تستقرالأوضاع العامة عند قيام الثورة بسبب الشروع فى تغيير مؤسسات الدولة التشريعية والتنفيذية فى النظام الجديد للدولة ,حيث يستغرق هذا التغيير والتعديل فترة زمنية تتراوح ما بين خمس الى عشر سنوات أو يزيد.

وفى بلدنا الحبيب مصر قامت ثورتان خلال عامين ونصف تقريبا ,وكانت أولاهما ثورة يناير عام ٢٠١١ التى لم يكن لها زعيم أوقائد يديرها مما أدى بها فى مهدها إلى عدم التماسك والوهن.

لقد أفرزت هذه الثورة بعض الإفرازات السياسية والاقتصادية و الاجتماعية الضارة ، بالرغم من كسر حاجز الخوف لدى عامة الناس مما يحسب لها.

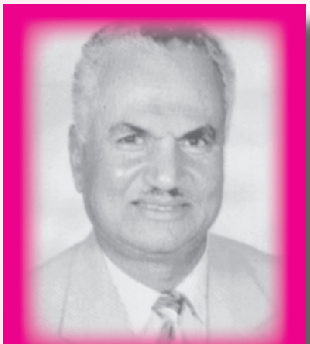

د. عزت عبدالعظيم الطويل
أستاذ علم النفس
بكلية الآداب بجامعة بنها

والحق نقول، إن الأضرار والمثالب التى جلبتها هذه الثورة تكمن فى تشرذم بعض قطاعات الدولة وعناصرها المجتمعية فى عزلة بعيدا عن المشاركة فى أمور البلاد والعباد، بالإضافة إلى ظهور عدة آلاف من البلطجية المحترفين الذين عاثوا فى الأرض فسادا بسبب الانفلات الأمنى ورخاوة الدولة، وانحسار هيبتها وقتذاك ،فضلا عن- وهذا هوالأهم - انهيار النسق الأخلاقى لدى معظم الناس ولاسيما فئة الشباب ، ومن ثم يمكننا القول بأن الركائز الأساسية للدولة العصرية هى : الأمن والعدل والأخلاق.ولما كان العدل أساس الملك ، رأينا أن ظاهرة " الاستخفاف بالقانون" قد طفت وتمددت فى مجتمع الثورة كأحد إفرازاتها، مما أدى الى انتشار سريع لبعض الظواهرالانحرافية المؤرِّقة والمخيفة كالاغتصاب الجنسى والتحرش, وخطف الأطفال, وسرقة السيارات والنشل والسرقات,وتجارة الأعضاء البشرية, فضلا عن ارتفاع معدل حالات الطلاق، وإحجام الشباب عن الزواج، وزيادة العنوسة فى محيط الفتيات، وانتشار زنى المحارم، وظاهرة أطفال الشوارع، وتفاقم أعداد المناطق العشوائية، وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

وفى مجال الأمن ، كثُرت الجرائم وظهرت آفة ضارة، وطامّة كبرى تتجلى فى أحد المظاهر السافرة التى تحض على كراهية رجال الشرطة من جانب بعض المنحرفين والبلطجية الذين يقتلون بعض ضباط الشرطة،ومن ثم أصبح رجال الأمن بلا أمن يحاولون الدفاع عن أنفسهم بدون الحراسة أو التأمين وعدم توفيرالأمن لأفراد الشعب.

إن فقدان الإحساس بالأمن، وانعدام العدالة يعنى التهديد لإشباع حاجات الإنسان الأساسية التى تحمى وجوده وتحافظ على بقائه. وإذا صادف الإنسان بعض المعوقات للتعبير عن سلوكه ومسلكه استثيرت فى نفسه النزعة العدوانية، فيلجأ إلى العنف بدرجاته المختلفة متجهاً نحو تحطيم مصادرالإحباط ورموزه سواء على مستوى الفرد الذى يأخذ شكل الجريمة أو على مستوى الجماعة الذى يأخذ شكل التمرد والثورة.

وعن الأخلاق أقول إن هناك بقعاً سوداء فى الثوب الأبيض لمجتمعنا المصرى الذى نسجته القيم النبيلة والتقاليد الراسخة والأخلاق الفاضلة والإيمان الصادق. ومنذ عقد التسعينات من القرن الماضى ، وقد تلاشت ركائز السلوك الإنسانى التى لا يسمى الإنسان إنساناً إلا بها ألا وهى الأخلاق العامة. ومن النادر وليس بمستحيل أن نجد فى زماننا هذا علاقات أسرية طيبة على طول المدى، وذلك بسبب النزعة المادية التى طغت على نفوس معظم أفراد المجتمع فضلاً عن الرغبة المحمومة فى تحقيق الأهداف سريعاً، والقلق المتزايد على المستقبل لدى أغلب الناس ، والميل للتراخى والكسل نحو أداء الواجبات ، والإلحاح فى المطالبة بالحقوق والاحتياجات بشكل لا أخلاقى يتمثل فى الصخب ورفع الصوت والسّباب والشتائم . هذا ويرجع السبب الرئيسى لمثل هذه الملوثات الأخلاقية إلى التربية المنزلية الفاسدة ، والبعد عن الدين، وبث أجهزة إعلامنا المرئية والمسموعة والمقروءة برامج ثقافية غريبة عن مجتمعنا الشرقى حيث تربى عليها الصغار وتشرّبها الكبار شكلاً ومضموناً ، وأصابت النسق الأخلاقى المصرى فى مقتل . وفى هذا المجال لا نملك إلا قول الحق تبارك وتعالى :" فالله خيرُحافظاً وهو أرحمُ الراحمين".